# مجلة المجمع العلمي

# التصحيح اللغوي

**الدكتور احمد مطلوب**

رئيس المجمع العلمي

**الملخص :**

اهتم القدماء والمعاصرون بتنقية اللغة العربية من اللحن والعُجمة ، ووضعوا الكتب التي تنبّه على الخطأ والصواب ، واستعمال الفصيح والأفصح ، وازدادت العناية بلغة القرآن الكريم في القرن العشرين لتسرب الألفاظ والأساليب الأجنبية اليها ، وهذا مما يبعث الأمل في أن تظل العربية نقية ، غير أن بعضهم يسرف في التخطئة على الرغم من صحة الكلمة أو الأُسلوب ، ولعله لو استقصى البحث لوجد أن ما عدّه خطأ صحيح : وتذكر مثالا يكون منطلقا لاعادة النظر في هذا الميدان .

(١)

اهتم العرب بلغتهم منذ عهد مبكر ، فوضعوا الكتب التي تصونها من الانحراف ، وكان كتاب سيبويه من أوائل الكتب التي جمعت أصول كلام العرب . ومن أهم الأسباب تلك العناية باللغة العربية خدمة القرآن الكريم ، وتصحيح ما انحرف من الالسنة بعد أن انتشرت العربية في الأصقاع البعيدة عن مواطنها .

واللحن قديم ولكنه فشا على السنة العرب والشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا حين ابتعدوا عن موطن الفصاحة ، وقد ذُكر أن رجلا قرأ عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلحن ، فقال : (( ارشدوا صاحبكم فقد ضل )) . وقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه (( والله

لخطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم )) . ويُروى أن كتابا جاء إليه فيه : (( من أبو موسى )) فكتب الى صاحب الكتاب : (( أن قَنّع كاتبك سوطا تأديبا له على اللحن )) ، وكانوا يعدون اللحن ذنبا من الذنوب .

وبدأت تقنية اللغة مما شابها من خروج عن سنن كلام العرب ، وشمل ذلك الخروج عدة جوانب منها :

الأول : الخروج على الأصوات العربية ، وارتضاخ اللكنة .

الثاني : تغيير الحركة المؤدي الى تغيير المعنى .

الثالث : تغيير صيغ الألفاظ .

الرابع : وضع الألفاظ غير مواضعها .

الخامس : الغلط في حركات الإعراب .

السادس : الإخلال بالتركيب اللغوي .

ونهد المخلصون للغة وكتاب الله العزيز لإصلاح ما فسد ، ووضعوا الكتب التي تقوّم ما انحرف ، ويُعد كتاب (( ما تلحن فيه العوام )) المنسوب الى علي بن حمزة الكسائي (-١٨٩هـ) من أقدم الكتب التي وُضعت لتنقية اللغة العربية في القرن الثاني للهجرة ، ووضع أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (-٢٤٤هـ) كتاب (( الألفاظ )) و (( إصلاح المنطق )) وألف أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (-٢٧٦هـ) (( أدب الكتاب )) واخرج أبو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب (-٢٩١هـ) كتاب ((الفصيح)) الذي كثرت عليه الشروح .

وزاد اللحن بعد ذلك ، وشمل الخاصة ، فانبرى اللغويون لتصحيح اللحن وتنقية اللغة مما أصابها من انحراف ، فألف القاسم بن علي الحريري (-٥١٦هـ) (( درة الغواص في أوهام الخواص )) ، واخرج أبو منصور الجواليقي (-٥٤٠هـ) (( تكملة ما تغلط فيه العوام )) وألف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (-٥٩٧هـ) كتاب (( تقويم اللسان )) .

ولم تقتصر حركة التنقية على إقليم دون إقليم ، وإنما ظهرت في بقاع الدولة العربية الإسلامية إذ ألف أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيديّ (-٣٧٩هـ) كتاب (( لحن العامة )) ووضع أبو حفص عمر بن خلف مكي الصقليّ (-٥١٠هـ) كتاب (( تثقيف اللسان وتنقيح الجنان )) .

وكان أصحاب المعاجم يشيرون الى الصحيح وينبهون على المنحرف الدخيل ، وبذلك ساهموا في الحفاظ على سلامة اللغة العربية واصالتها ، وعملوا على ازدهارها .

(٢)

وازداد اللحن بعد ذلك ، وأُلفت معاجم جمعت الفصيح من كلام العرب ، وكان في قمتها بعد القرن السابع للهجرة (( لسان العرب )) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (-٧١١هـ) و (( القاموس المحيط )) لأبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي (-٨١٦هـ) و (( تاج العروس من جواهر القاموس )) لمحب الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني الزَّبيدي (-١٢٠٥هـ) .

وظهر بعدها كتاب (( كشف الطرة عن الغرة )) لأبي الثناء الالوسي (-١٢٧٠هـ) وقد تعقب فيه أوهام الحريري في كتابه (( درة الغواص ))

وسجّل ملاحظات ، وأضاف معلومات ، ورتبه على حروف الهجاء لتسهل مراجعته .

وتوالت الكتب بعد ذلك ، واهتم إبراهيم اليازجي بلغة الجرائد ، واخذ الحريصون على العربية يتسابقون في وضع الكتب ، وظهر كتاب (( تذكرة الكاتب )) لأسعد خليل داغر ، وكتاب (( أغلاط اللغويين الاقدمين )) للأب انستاس ماري الكرملي ، و (( أغلاط الكتاب )) لكمال إبراهيم ، وكتاب إبراهيم المنذر ، و (( قل ولا تقل )) للدكتور مصطفى جواد و (( الاستدراك )) عليه لصبحي البصام و (( معجم الخطأ والصواب في اللغة )) للدكتور اميل يعقوب ، و(( الكتابة الصحيحة )) لزهدي جار الله و(( معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة )) و(( معجم الأخطاء الشائعة )) لمحمد العدناني و(( ازاهير الفصحى في دقائق اللغة )) و(( شمس العرفان بلغة القرآن )) لعباس أبو السعود ، و(( الأخطاء اللغوية الشائعة )) لمحمد علي النجار ، و(( العربية الصحيحة )) للدكتور احمد مختار عمر ، و(( أخطاء لغوية )) لعبد الحق فاضل ، و(( من أغلاط المثقفين لإبراهيم الوائلي )) ، و(( التعبير الصحيح )) للدكتور نعمة رحيم العزاوي و(( نظرات في أخطاء المنشئين )) لمحمد جعفر إبراهيم الكرباسي ، وغيرها من الكتب والدراسات التي ظهرت هنا وهناك .

(٣)

كان لهذه الكتب أثر في تقنية اللغة العربية ، وقد ظهر ذلك الأثر في لغة هذه الأيام فيما يُؤلف ويُكتب ، ولكن بعض الذين عنوا بهذا الجانب أسرفوا في تخطئة بعض ما ورد من كلام العرب ، ويرجع ذلك الى :

١- الاقتصار في تصحيحهم على ما ورد في المعاجم وحدها ، وقد خطـأوا الصحيح الذي لم يجدوه فيها ، على الرغم من أن المعاجم لم تذكر كـل كلام العرب ، ولم تذكر ما يُقاس ، لأن قواعده معروفة في كتب النحـو والصرف .

٢- إهمال قسم كبير من كلام العرب القديم : شعره ونثره ، وعدم الاعتمـاد عليه ، وهو الذخيرة اللغوية التي لا يُستغنى عنها .

٣- إهمال قسم كبير من الكتب التي وضعها علماء لهم فضل كبير في حفـظ التراث ، وفي هذه الكتب كثير من الألفاظ والتراكيب التي لا يرقى إليهـا شك أو نكران .

٤- عـدم الأخـذ بوسـائل تنميـة اللغـة كالقيـاس ، والاشـتقاق ، والمجاز وهي التي اتخذها القـدماء فاتـسعت اللغـة ، وعبَّـرت عـن المستجدات .

٥- عدم الأخـذ بكثيـر ممـا أصـدرته المجـامع العربيـة ـ ولاسـيما مجمـع القـاهرة ـ مـن قـرارات أجـازت القيـاس علـى كـلام العرب ، لان (( مـا قـيس علـى كـلام العـرب فهـو مـن كـلام العرب )) . وأجـازت الاشـتقاق مـن أسـماء الأعيـان ، والمجـاز الذي إذا شـاع وانتـشر لحـق بالحقيقـة ، وأصـبح لفظـا حـضاريا أو مصطلحا علميا .

وكانت النتيجة أن انحصرت العربية فيما حوت المعاجم ، وأصـبح الخروج عما دونته ذنبا أو تآمرا يراد به القضاء على لغة القرآن الكريم ، والتراث العربي والإسلامي .

(٤)

إن اللغة العربية أرحب مما يُظن ، وقد ذكر سيبويه في كتابه مئات الأبنية ، واستدرك عليه أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي الاشبيليّ ثمانين بناء ، ومن خلال ما ذكر سيبويه وما أستُدرك عليه ، وما اتخذته المجامع من قرارات تُفتح أبواب تُفضي الى ما فيه خير العربية في هذا العصر الذي يزخر بكل جديد .

ولتبيان ما أسرف فيه بعضهم ينظر في الكلمتين (( الرئيسي )) و(( الأساسيّ )) لكثرة استعمالهما في الكلام قديما وحديثا . فقد ذهب المصححون الى أن الصحيح (( الرئيس )) و(( الأساس )) إذا نسب اليهما .

وكان الدكتور مصطفى جواد قد أولى كلمة (( الرئيس )) عناية كبيرة في كتابه (( قل ولا تقل )) . (( قال هو الأمر الرئيس بين الأمور )) و(( هي القضية الرئيسة بين القضايا )) ولا تقل : (( الأمر الرئيسي )) و(( القضية الرئيسية )) وذلك لأن (( الرئيس )) و(( الرئيسة )) في هاتين العبارتين وأمثالهما من الصفات المصوغة على وزن ((فعيل)) و((فَعيلة)) كالشريف والشريفة ، والنجيب والنجيبة ، والعظيم والعظيمة . وقال : ((أما إضافة الياء المشددة الى الصفة كأن يقال : ((الرئيسي)) و(( الرئيسية)) فليست من الاستعمالات العربية ، ثم إن إضافة الياء المشددة التي هي ياء النسب ليست قياسية في غير النسبة ، وقول الراجز :

والدهر بالإنسان دوّاريّ

من قبيل الضمائر ، وإلا فكيف يقال للشريف : ((شريفيّ)) وللعجيب ((عجيبيّ)) وللكبير : ((كبيريّ)) ((فذلك عبث باللغة فضيع)) .

واستشهد على صحة رأيه بقول الشريف الرضيّ في (( المجازات النبوية )) : (( لان القلب سيد الأعضاء الرئيسة والاحناء الشريفة )) .

وقول أبي حيان التوحيديّ : ((ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح في ثلاثة أعضاء رئيسة)) .

والكتاب الذي ذكره ابن النديم في فهرسه وهو (( سير العضو الرئيس من بدن الإنسان )) وما ذكره الخوارزميّ في (( مفاتيح العلوم )) : الأعضاء الرئيسة في الإنسان .

وما ذكره الثعالبيّ في ((الطرائف)) من قول الشاعر :

وَجَدْتُ رئيسةَ أللذّاتِ أربعةً متى تُحسَبْ

وما ذكره ضياء الدين بن الأثير في رسائله من قوله : ((فلم يَرْضَ إلاّ بالرأس من الأعضاء الرئيسة)) .

وقول ابن أبي الحديد في شرح ((نهج البلاغة)) : ((فان الجوع المفرط يورث ضَعَف الأعضاء الرئيسة)) .

وأشار الى الخطأ الذي وقع فيه القلقشنديّ في كتابه (( صحيح الأعشى )) حين قال : ((وأما استيفاء الدولة فهو وظيفة رئيسية ، وعلى متوليها مدار امور الدولة في الضبط)) (قل ولا تقل ص١٣٤-١٣٥) .

ويضاف الى ما ذكره إن جاءت عبارة ((فهو ربيع النفوس النفيسة وراس مال العلوم الرئيسة)) (معجم الأدباء ج١ ص١٣) ، ولعل السجعة

جعلت ياقوت الحموي يقول : ((الرئيسة)) كما دعت الشريف الرضي الى أن يقول ((الرئيسة)) موازنة لكلمة ((الشريفة)) .

لقد جاءت كلمة ((الرئيسة)) في عبارات كثيرة ، وجاءت ((الرئيسة)) في كلام القلقشندي والنسبتان صحيحتان ، لأنه يراد بالياء المشدّدة الوصفية لا النسبة ، وهذا معروف في العربية اذ تأتي للوصف والمبالغة كما تأتي حين تسبق الياء الألفُ والنون مثل ((ربانيّ)) لمثل ذلك وللدلالة على الحرفة والملكية والانتماء . (ينظر معجم النسبة بالألف والنون ص١٤ وما بعدها) .

فالياء المشددة في ((الرئيسيّ)) للوصف ، وهي مثل ((إنسانيّ)) أي أنه متّصِف بالإنسانية لا منسوبا الى ((الإنسان)) لأنه إنسان ، ومثل : ((فلان أنانيّ)) أي أنه متصف بالأنانية وهي الأثرة .

وكان سيبويه قد أدرك الفروق في النسبة واختلاف أغراضها ، وتبيّن ذلك الفرق بين ما يؤتى بالياء المشددة للصفة أو الإضافة : (( فمن ذلك قولهم الجمة : ((جُمّانيّ)) وفي الطويل اللحية : ((اللحيانيّ)) وفي الغليظ الرقبة ((رقبيّ)) و((لحييّ)) و((جميّ)) و((لُحويّ)) وذلك لان المعنى تحوّل ، إنما أردت حين قلت : ((جُمانيّ)) الطويل الجمة ، وحيث قلت : ((اللحيانيّ)) الطويل اللحية ، فلما لم تعنِ ذلك أُجري مجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى)) (الكتاب ج٣ ص٣٨٠).

وهذا فرق دقيق بين الإضافتين أو النسبتين وإن زيدت في النسبة الوصفية الألف والنون ، على أن العمدة في الياء المشددة ، ولذلك لا باس أن يقال : ((الرئيسي)) لأن المقصود الوصفية لا الإضافة . وقد أجاز

الدكتور إبراهيم السامرائي استعمال ((الرئيس)) و((الرئيسيّ)) (من معجم الجاحظ ص١٢٦) وجازهما عبد الحق فاضل ، قال : (( يخطئونها مثل الأساسيّ فنقول على رأيهم ((الشارع الرئيس في البلدة)) و((المدن الرئيسة في القطر)) وعندئذ يحسن أن يقال : (( المدن الرئيسات)) رئيسات على مَنْ ؟ وهل هذا أفصح من ((المدن الرئيسية)) . المبرر عندهم انه يوجبون حذف الياء قبل النسبة ، لكن ((الرئيسيّ)) إذا حذفت ياؤه يصبح ((الرأسيّ)) بمعنى العمودي ، لهذا صرفو النظر عن النسبة وقالوا : ((الشارع الرئيس)) . صحيح أن القدامى من العرب حذفوا فقالوا : ((رَبَعيّ)) ــ بفتحتين ــ نسبة الى ((ربيع)) و((حَرَفيّ)) ــ بفتحتين ــ نسبة الى ((خريف)) لكنهم قالوا كذلك : ((ربيعيّ)) و((خريفيّ)) أي أن المسألة جوازية ، فلماذا نشدد على أنفسنا ونضيق رحاب لغتنا (أخطاء لغوية ص٨٠) .

وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد اعتمد ما انتهت إليه لجنة الأصول من قرار وهو : ((يستعمل بعض الكتاب)) العضو الرئيسيّ أو ((الشخصيات الرئيسية)) وينكر ذلك كثيرون . وترى اللجنة تسويغ هذا الاستعمال بشرط أن يكون المنسوب إليه أمرا من شأنه أن يندرج تحته أفراد متعددة (كتاب الألفاظ والأساليب ص١٦).

وعلّق محمد العدناني على هذا القرار بقوله : (( ولست ادري لماذا سوّغوا هذا الاستعمال مشروطا ، وأرى احد أمرين :

أ- إما أن نجيز قول : ((الأعضاء الرئيسية)) دون قيد أو شرط حبا في تسهيل الأمور واجتنابا لتعقيدها بذلك الشرط الذي يجعل المرء يقف هنيهة حائرا إزاءه .

ب-أن نكتفي بقول : ((الأعضاء الرئيسة)) كما تقول أمهات معاجمنا . (معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة ص٢٢٤) .

واخذ الدكتور احمد مختار عمر بجواز استعمال ((الرئيسي)) لأنه هو المنتمي الى مفهوم ((رئيس)) والآخذ منه بحظ ، وكأنه فرد من أفراده)) (العربية الصحيحة ص١٤١).

ولكن القول بأن النسبة بالياء وصفية اقرب الى دلالة ((الرئيسي)) من هذا التعليل الذي لا يكشف عن روح اللغة العربية .

ويتصل بهذه المسألة كلمة ((الرياسة)) ويقول بعضهم أنها خطأ والصحيح ((الرئاسة)) على الرغم من ورودها ، جاء في (لسان العرب) : ((وكان يقال : أن الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها)) .

وجاء في (المعجم الوسيط) : ((فلان يرأس رآسة ورياسة ورئاسة : شرف قدره ، وزاحم على الرياسة وأرادها)) وجاء مثل ذلك في (المعجم العربي الأساسيّ).

وعالج محمد العدناني هذه المسألة في كتابه ((معجم الأخطاء الشائعة ص٩٨) قال : ((رأسهم يرأسهم رآسة ورئاسة ورياسة)) ونقل عن ابن الأعرابي أنها ((رئاسة)) وعن الصحاح أنها ((رياسة)) . وجاء مثل ذلك في ((مختار الصحاح)).

ولكن كلمة ((رئاسة)) ــ بالهمز ــ أكثر شيوعا ، وليس من الخطأ كلمة ((رياسة)).

وينطبق على كلمة ((الأساسيّ)) ما جاء في كلمة ((الرئيسيّ)) أي أن الياء المشددة يُراد بها الصفة لا النسبة ، ولذلك يقال : (( الركن الأساسيّ)) لا((الأســاس)) ، و((الموضــوع الأساســيّ)) لا((الأســاس)) . فكلمتــا ((الرئيسيّ)) و((الأساسيّ)) ليستا خطأ ، وهما كما مرّ مثل : ((إنسانيّ)) أي متصف بالإنسانية ، و((أنانيّ)) أي متصف بالأنانية أي الأثرة .

إن إعادة النظر فيما قيل انه خطأ مهمة العاملين في حقل اللغة ، التي يجب أن تكون أكثر تدقيقا ، والاستفادة من وسائل نمــو اللغــة المعروفــة لتستوعب العربية المستجدات على أن لا يخرج الباحثون عن الأصول التي هي الضابط الأصيل للغة ، فضلا عن قراءة التراث قــراءة مــستوعبة ، والخروج بما يكفل النمو والازدهار ، ولا عبرة بما يقوله الذين اشــتهروا وبرزت أسماؤهم لسبب مــن الأســباب ، وإنمــا العبــرة فــي التنقيــر والبحث المتواصل للوقوف على ما ينفع اللغة العربية ويبقيها قادرة علــى استيعاب المستجدات .

إن تخطئة الصحيح تؤدي الى تحجيم اللغة التي وســعت كتــاب الله والحديث النبوي الشريف ، وكلام الأدباء ، وكتــب المــؤلفين فــي الآداب والعلوم والفنون التي أوصلها طاش كبري الى المئات . ولولا حيوية اللغة وما فيها من طاقات إبداعية ما استطاع القدماء أن يعبروا عــن مقاصــدها بأفصح لسان .